بَيْنَ نِيلَيْنِ

بِالْمَقْرَنِ عِنْدَ الشَّطَّيْنِ،

مَشْطُورٌ شَطَّ الْبَحْرَيْنِ،

مِنْ بَعْضِ فِرَاقٍ يَفْتَرِقَا،

مِنْ صَلَفٍ لَا يَلْتَقِيَانْ. . .

يَا مَهْدًا أَوْرَثَ إِفْقَارِي،

قَدَرِي بِثَبَاتِي وَفِرَارِي،

فِي عِيدٍ يَأْسِرُ أَحْرَارِي،

رَهَقِي سِنْدَانٌ لَا يَهْرُبْ. . .

يَا حُلْمًا أَسْرَجَ صَهْوَتَنَا،

يَا كَبْتًا أَطْلَقَ شَهْوَتَنَا،

وَتَرَنَّمَ فِي الشَّكْوَى عَبَثًا،

عَرْبِيدٌ مِنْ دَمِنَا يَشْرَبْ. . .

أَخْبَرْتُكَ قَبْلَ وِلَادَتِنَا،

وَوَعَدْتُكَ فَيْضَ عِبَادَتِنَا،

سَأُلَمْلِمُ أَوْصَالًا ثَكْلَى،

وَسَأُرْضِعُ أَطْفَالًا تَغْرَقْ. . .

صَحْرَائِي تُنْبِتُ أَشْيَاعِي،

مِنْ بَعْضِي يَا كُلَّ مَتَاعِي،

أَفْيَائِي مَا زَالَتْ تَنْزِفُ،

أَشْلَائِي مَا زَالَتْ تَغْرَقْ. . .

أَقْدِمْ مِنْ قَفْرِي وَبِحَارِي،

أَشْعِلْ بُرْكَانِي وَمَرَارِي،

نِيلِي يَسْتَلْهِمُ مَجْرَاكَ،

وَهَجِي مِنْ شَمْسِكَ يَسْتَرْزِقْ. . .

وَعْدُكَ أَنْسَاهُ. . . ! لَا أَنْسَى،

فَنَحَتُّهُ حِفْظًا فِي الْمَسْرَى،

وَنَظَمْتُهُ لَحْنًا فِي الذِّكْرَى،

وَسَلَكْتُهُ أُفُقًا يَتَأَلَّقْ. . .

مِنْ مَاضٍ شَغَفًا يُضْنِينِي،

مِنْ آتٍ بُغْضًا يَجْلِدُنِي،

لَمْلِمْ أَتْرَاحَكَ وَاعْتِقْنِي،

يَا نَزْفًا يُدْمِي أَحْرَارِي. . .

يَا وَطَنًا يَسْحَقُ أَحْضَانِي،

أَكْفَانُهُ تَحْضُنُ أَحْلَامًا،

صَرْعَى تَقْتَاتُ مِنَ الْجَلَدِ،

بَغْيًا تَتَبَعْثَرُ أَسْفَارِي. . .

سَأَجِيءُ لِأَنِّي لَا أَقْوَى،

دَرْوِيشٌ لَكِنِّي أَهْوَى،

مُلْتَاعٌ كَبِدِي لَا يُرْوَى،

أَقْمَارِي تَصْفَعُ أَعْمَارِي. . .

فَلْتَرْحَلْ أَمْسِي الْمَأْسَاةُ،

وَلْتُفْلِتْ أَسَفِي الْمِرْسَاةُ،

وَلْتَلْفِظْ كَمَدًا أَتْرَاحِي،

قَسْرًا تَتَبَدَّدُ أَكْدَارِي. . .

مِنْ وَجَعِي يَتَفَتَّقُ فَجْرِي،

مِنْ سَهَرِي يَتَفَجَّرُ قَهْرِي،

بِثَبَاتٍ أَخْشَى أَنْ يُكْسَرَ،

يَا سَدَّ الْأَلَمِ الْفَخَّارِي. . .

فَتَهُبُّ رِيَاحٌ مِنْ غَضَبِي،

يَحْمِلُهَا مَوْجُ الْإِدْمَاءِ،

إِعْصَارٌ يَشْنُقُ إِعْصَارًا،

تُذْرِي بِفُتَاتِي وَثِمَارِي. . .

حُبْلَى يَا لَيْتَهَا مَا حَبِلَتْ،

بِسِفَاحٍ أَخْشَى أَنْ يُولَدَ،

زِنْدِيقٌ يَتَوَعَّدُ أَمَلِي،

عَطِشٌ يَتَصَيَّدُ أَشْعَارِي. . .

يَهْوِي فِي أَرْضٍ مِنْزَافَةْ،

يَقْطُنُهَا جُنَاةُ الْأَحْزَانِ،

يَلِدُونَ عُتَاةَ الْحِرْمَانِ،

يَبْكُونَ عَلَى خَطِّ نَارِي. . .

إِنِّي أَقْسَمْتُ عَلَى حَتْفِي،

أَبِشِعْرِي أَجْلُو ظُلْمَتَهُمْ؟

أَمْ أُطْفِئُ جَذْوَةَ قَسْوَتِهِمْ؟

أَمْ أَحْمِلُ ثِقْلَ الْإِفْقَارِ؟

أَمْ أَشْنُقُ سِرِّي وَجِهَارِي،

أَغْتَالُ ظَلَامِي وَنَهَارِي،

وَأُحِيلُ فُؤَادِي لِخَرَابٍ،

تَقْطُنُهُ فُلُولُ الْأَوْزَارِ؟ . . .

مَنْفَانَا يَهْفُو لِرُؤَاكَ،

يَا وَعْدًا أَنْبَتَ إِزْهَارِي،

إِنْ لَمْ أَلْقَاكَ عَلَى وَعْدٍ،

قَطَعَتْهُ عُيُونُ الْأَقْدَارِ . . .

الشاعر السوداني: حسن عبد الرحمن موسى مصطفى

هامش:

- كُتبت القصيدة على تخوم المنفى السوداني، وفي ظلال ذاكرة الحرب والتشظي الوطني، مستلهمةً البعد الجغرافي والرمزي للمكان، ولا سيما ملتقى النيلين والمسرى، وما خلّفته السيكولوجيا الجمعية لجيل «الأحلام الصرعى» من اغترابٍ وتمزقٍ ووعدٍ مؤجّل.
- البحر: المتقارب